وجوب محبة سيدنا محمد ﷺ

على كل مؤمن

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(حول تفسير سورة الكوثر)

من الصفحة ٤١ حتى الصفحة ٥٠

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾

الشانيء: هو المبغض، والأبتر هو: المنقطع.

والمعنى: أَنَّ مبغضك يا رسول الله، ومبغض ما جئتَ به من الهدى، ودين الحق، والبرهان القاطع، والنور الساطع هذا المبغض هو الأبتر المنقطع من كل خير، والمقطوع عنه خير الدنيا والآخرة.

وذلك لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاء بكل الخير الشامل لخير الدنيا والآخرة، فمن أبغضه فقد انقطع من كل خير، واتَّصل بكل شر في الدنيا والآخرة.

وأما من آمن به وأحبه؛ فقد اتصل بكل خير في الدنيا والآخرة، ونال خير الدنيا والآخرة.

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾.

هذه الآية الكريمة تَدل بنصِّها على أَنّ مبغض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منقطع من كل خير، وتدلُّ بمفهومها ولازمها على أَنَّ مُحِبَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو متصل بكل خير في الدنيا والآخرة، ومتصل بكل خَيْرٍ جاء به رسول الله

صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جميع العوالم، فإنَّ الله تعالى جمع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأعطاه؛ جميع أنواع الخير في الدنيا والآخرة، وفي جميع العوالم، فمن أحبه واتبعه نال نصيبه من ذلك الخير الذي أعطاه الله تعالى لحبيبه الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فإذا كان مبغض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منقطعاً عن كل خير، فمعنى ذلك أَنّ مُحِبَّهُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو متصل بكل خير قطعاً لا ريب في ذلك.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

فيه إنذار شديد من الله تعالى، ووعيد شديد لمبغض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفيه بشارة عظيمة من الله تعالى، ووعد محتم لمن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ كل محب لهذا الحبيب الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينال نصيبه من ذلك الخير المحمديِّ الذي أعطاه الله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كلٌّ على حسب مقامه ومنزلته في الحب لهذا الحبيب الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ومِنْ هنا تعلم أيها المؤمن فضل محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتعلم شرف مقام المحبة.

واعلم أَنّ محبتك لسيدنا رسول الله الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي الدليل الصادق على محبتك لله تبارك وتعالى.

فإنَّ من أحبَّ الله تعالى حقّاً أحب حبيب الله تعالى الأكرم، وهذا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإنّه أحبُّ الخلق إلى الله تعالى، وأكرمهم عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينتظرونه فتذاكروا.

فقال بعضهم: عجباً[1] إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله.

فقال آخر: ماذا بأعجب من أنه ـ سبحانه ـ كلَّم موسى تكليماً.

وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه.

وقال آخر: فآدم اصطفاه الله تعالى.

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال: «قد سمعتُ كلامكم، إنّ إبراهيم خليل وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك.

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأناأول شافع وأول مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرِّك حلق الجنة ولا فخر، فيفتح الله تعالى فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ـ وفي رواية: «فقراء المهاجرين» ـ وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر»[2].

أي: لا أقول ذلك تكبراً وتعاظماً على الناس، بل تحدثاً بنعمة

---

(١) يعني: أَنَّ هذا أمر عظيم وفضل كبير.

(٢) رواه الدارمي والترمذي وأبو نعيم كما في (الخصائص الكبرى) وقد تختلف رواياتهم في الألفاظ وفي التقديم والتأخير.

الله تعالى شاكراً له سبحانه، وحامداً لله تعالى الذي أعطاني هذه الرتبة. اهـ من (شرح المواهب).

وعن جابر رضي الله عنه، أَنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أَوّل شافع وأول مشفَّع ولا فخر»[1].

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب الخلق إلى الله تعالى، وأكرمهم على الله تعالى، فيجب على المؤمن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحبَّ خلق الله تعالى إليه.

روى الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «أحبُّوا الله تعالى لما يَغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي» أي: لحبي إياهم.

ومعنى أحبوني لحب الله: أي: لحب الله إياي فإنه اتخذني حبيبه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد نقل الحافظ القسطلاني في (المواهب اللدنية) عن العارف الكبير والعلامة الشهير سيدي إبراهيم الدسوقي أَنّه قال رضي الله عنه:

ألا يا محبَّ المصطفى زد صَبابَةً وضمِّخ[2] لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبــأنْ بــالمبطلين فــإنّمــا علامة حب الله حب حبيبه

---

(١) رواه البخاري في (تاريخه)، والطبراني في (الأوسط)، والبيهقي وأبو نعيم كما في (الخصائص الكبرى).

(٢) قال الشارح الحافظ الزرقاني: وضمخ ـ بمعجمتين بينهما ميم أي: لطِّخ. اهـ.

صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعلينا معهم أجمعين، في كل وقت وحين، عدد ما وسعه علم الله تعالى ربِّ العالمين ـ آمين.

فالواجب على المؤمن أَن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما.

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى أصناف المحبوبات للإنسان من المخلوقات: الآباء والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيره، والأموال الكثيرة التي اقترفوها ـ أي: اكتسبوها ـ وتجارة ـ أي: أمتعة كثيرة ـ اشتريتموها للتجارة والربح، ومساكن ترضونها ـ أي: تعجبكم الإقامة فيها لأناقتها وزخرفتها واتقانها، ثم بين سبحانه أنّه إن كان شيء من ذلك أحبَّ إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربَّصوا ـ أي: انتظروا ـ حتى يأتي الله بأمره ـ أي: بعقابه سبحانه لكم عاجلاً أو آجلاً ـ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهذه الآية دليل قاطع على وجوب محبة الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على وجه أقوى وأعظم من كل محبوب.

جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار».

وفي رواية: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأَن يحب في الله ويبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحبَّ إليه من أن يُشرك بالله شيئاً».

قال الحافظ المنذري بعد ما أورد هذا الحديث بروايتيه قال: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. اهـ.

قلت: وللحديث روايات أخرى.

وفي هذا الحديث دليل على وجوب محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على وجه أعظم من محبة ما سواهما، وأنَّ من لم يتحقق بذلك لم يجد حلاوة الإيمان وطعمه، لأن الحديث يقول: «وجد بهنّ حلاوة الإيمان».

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين» أخرجه الشيخان والنسائي.

وفي رواية أخرى للنسائي رحمه الله تعالى: «حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله»[1].

فالإيمان يقتضي ويوجب على الإنسان أن يكون سيدنا رسول

---

(١) كما في (تيسير الوصول).

الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أحبَّ إليه من الوالد والولد، والمال والأهل، والناس أجمعين؛ فهذا كله موجَب الإيمان.

فإنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبيب الله الأكرم، والشفيع الأعظم عند الله تعالى.

ويرحم الله تعالى القائل في مناجاته لربه تعالى:

بالذُّل قد وافيتُ بابك عالماً أنَّ التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدي عليك توكلاً وبسطت كفي سائلاً أتَضَرَّع
فبحقِّ من أحببته وبعثته وأجبت دعوة من به يستشفع
صلى الله عليه وعلى آله وسلم
اجعل لنا من كل ضيق مخرجاً والطف بنا يا من إليه المرجع
ثم الصلاة على النبي وآله خير الأنام ومن به يُستشفع

من الإيمان
أن يكون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب إلى المسلم من نفسه

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرحم بالمؤمنين من أنفسهم، وأشدُّ شفقةً عليهم من أنفسهم، وأشد رأفة بهم من أنفسهم، وأشد حرصاً عليهم من أنفسهم، فمن الواجب الإيماني المحتَّم عليهم قطعاً أنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أحبَّ إليهم من أنفسهم، ومقدَّماً على أنفسهم.

فقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ بيَّن لهم موقفه

معهم، وأنه أرحم بهم، وأشد رأفةً، وأشد عطفاً وحناناً عليهم من أنفسهم، ومن الآباء والأمهات من باب أولى، وتُبيِّنُ الآية الكريمة الحق الواجب عليهم، وذلك بأن يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم؛ كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» الحديث، وروى البخاري نحوه في كتاب الأيمان والنذور.

وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يُعلن بأَوْلويَّتِه بالمؤمنين من أنفسهم، فقد روى البخاري عند قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ما من مؤمن إلاَّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ فأيُّما مؤمن ترك مالاً فَلْتَرِثْهُ عصبته مَنْ كانوا، وإن ترك دَيْنا أَوْ ضَياعاً فليأتني فأنا مولاه».

الضَّيَاع: بفتح الضاد: العِيال الفقراء، وهو مصدر في الأصل[1].

وروى الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، روى عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فأيّما رجل مات وترك دينا فإليّ ـ أي: فأنا أُوَفِّي عنه ـ ومَن ترك مالاً فهو لورثته».

---

(١) انظر (النهاية).

فنتيجة الأمر هو كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وكما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «حتى أكون أحب إلى أحدكم من نفسه».

والمعنى: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من خلق الله تعالى أجمعين.

وكيف لا يكون الأمر كذلك، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب الخلق إلى الله تعالى، كما أعلن ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث المتقدم، حيث قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ألا وأنا حبيب الله تعالى ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى ولا فخر» الحديث كما تقدم بتمامه.

فهو الذي خَصَّه الله تعالى بمقام حبيب الله الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأنه المقدم على غيره من المحبوبين.

روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «اتَّخَذَ الله إبراهيم خليلاً، وموسى نَجِيًّا، واتخذني حبيباً ثم قال: وعزتي وجلالي لأوثرنّ حبيبي على خليلي ونجيِّي»[1].

ومعنى نجيِّ الله تعالى أي: ناجاه الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾.

---

(١) كما في (كنز العمال) و(شرح المواهب).

وهو على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم كليم الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.

وجميع هذه المقامات أُعطيها رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على وجه أكمل، وأعطاه الله تعالى مقاماً خاصاً به فوق تلك المقامات والمراتب كلِّها، وهو أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبيب الله تعالى، وإمام النبيين والمرسلين؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

روى الترمذي والإمام أحمد وغيرهما عن سيدنا أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا كان يوم القيامة كنت أنا إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر».

وروى البخاري في (تاريخه) والطبراني في (الأوسط) وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفّع ولا فخر»[1].

وكيف لا يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحبَّ الخلق إليهم، وقد هداهم الله تعالى به للإيمان، فنقلهم من الشقاء الأبدي إلى السعادة الأبدية، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال المبين إلى نور الحق المبين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) كما في (الخصائص الكبرى).